**المحاضرة الثانية: نظريات التأثير وعلاقتها بتكنولوجيا الإعلام والاتصال:**

يحدد الأستاذ الدكتور، الباحث فضيل دليو خمسة نظريات تعنى بتأثير وسائل الإعلام والاتصال، والتي يرى أنها ترتبط بشكل مباشر بتأثيرات تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتفسر السلوك الاتصال والإعلامي المرتبط بها وهذه النظريات هي:

-نظرية الحتمية التكنولوجية -نظرية الغرس الثقافي -نظرية الفجوة الرقمية -نظرية شخصنة الإعلام

-نظرية انتشار المبتكرات

وسنستعرض ثلاث نظريات، باختصار، من النظريات التي أشار إليها الدكتور، لفهم أعمق لبقية المحاضرات في هذا السداسي المتعلقة بشكل أساسي في تأثيرات واستخدامات تكنولوجيا الإعلام والاتصال في حين سيتم التطرق لبقية النظريات الإعلامية والاتصالية في مقرر السنة الثالثة.

1. **نظرية الحتمية التكنولوجية: (مارشال ماكلوهان: وسائل الاتصال امتداد للحواس)**

تعتمد هذه النظرية على ثلاثة افتراضات أساسية، نعرضها كالتالي:

**أولا: وسائل الاتصال هي امتداد لحواس الإنسان:**

يعتقد ماكلوهان أن كل وسيلة اتصالية إنما هي امتداد للواقع الإنساني، فهو يرى أن وسائل الاتصال الالكترونية غيّرت في توزيع الإدراك الحسي، أو كما يسميها ماكلوهان "نسب استخدام الحواس"، فامتداد أي حاسة يعدّل من طريقة تفكيرنا وتصرفاتنا وإدراكنا للعالم من حولنا. حيث أن الناس يتكيفون مع الظروف المحيطة عن طريق توازن الحواس الخمس (السمع، البصر، اللمس، الشم والتذوق) مع بعضها البعض، وكل اختراع تكنولوجي جديد يعمل على تغيير التوازن بين الحواس.

يقول مارشال ماكلوهان أن وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع ستحدد طبيعة المجتمع، وكيف يعالج مشاكله، وأي وسيلة يفكرون ويعملون وفقا لها، ويرى أيضا أن التحول في الاتصال التكنولوجي أحدث تحولات في الحساسيات/ الحواس الإنسانية وكذا في التنظيم الاجتماعي، فبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الإعلام لا نستطيع فهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات. 'فاختراع اللغة المنطوقة' هو الذي ميّز بين الإنسان والحيوان، وبدون اختراع الكتابة ما كان التحضر ممكنا.. وهكذا دواليك.

وعلى هذا الأساس يرى ماكلوهان أن التاريخ البشري هو تاريخ وسائل الاتصال ويقوم بتقسيمه إلى المراحل التالية: المرحلة الشفوية، مرحلة الكتابة، عصر الطباعة، عصر وسائل الإعلام الالكترونية: من سنة 1900 تقريبا، حتى الوقت الحالي (وفق مارشال ماكلوهان)

فطبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع أكثر مما يساعد مضمون تلك الوسائل على هذا التشكيل. وباختصار يدعي ماكلوهان أن التغيير الأساسي في التطور الحضاري منذ أن تعلم الإنسان أن يتصل، كان من الاتصال (الشفهي) إلى الاتصال (السطري) ثم إلى الاتصال (الشفهي) مرة أخرى.

**ثانيا: الوسيلة هي الرسالة:**

بمعنى أن طبيعة كل وسيلة، وليس مضمونها هو الأساس في تشكيل المجتمعات، ويرى 'ماكلوهان' أن الرسالة الأساسية في التلفزيون هي التلفزيون نفسه، كما أن الرسالة الأساسية في الكتاب هي المطبوع، فالمضمون غير مهم، وأن المهم هو الوسيلة التي تنقل المحتوى، ويشير 'ماكلوهان' إلى أن لكل وسيلة جمهورا من الناس الذين يفوق حبهم لهذه الوسيلة اهتمامهم بمضمونها، بمعنى آخر.. التلفزيون كوسيلة هو محور لاهتمام كبير، فكما يحب الناس القراءة من أجل الاستمتاع بتجربة المطبوع، فإنهم يحبون التلفزيون بسبب الشاشة التي تعرض الصور والصوت والحركة والألوان.

ويقترح ماكلوهان أن بناء الوسيلة ذاتها مسؤول عن نواحي القصور فيها، ومسؤول عن مقدرتها في توصيل المضمون، فهناك وسيلة أفضل من وسيلة أخرى في إثارة تجربة معينة، فمثلا مشاهدة مباراة في كرة القدم أفضل في التلفزيون منها في الراديو، فيبدو أن لكل وسيلة خصائص خاصة بها تجعلها الأفضل في إثارة موضوعات معينة.

وإذا أسقطنا هذه الفكرة على تكنولوجيا الاتصال والإعلام فإن استخدام التكنولوجيا في الحياة المعاصرة لا يحمل تداعيات مرتبطة بالمضمون فحسب، بل يرتبط أيضا بخصائص الوسيلة وما يمكن أن تغيّره في حياة البشر، وتذكر الدراسات اختلافات اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية بين مشتركي مختلف المواقع الاجتماعية مرتبطا بطبيعة كل شبكة من الشبكات (فرواد منصة اكس 'تويتر سابقا'، قد يختلفون عن المهتمين بالتواصل عبر الانستغرام أو فيسبوك أو تلغرام..)

**ثالثا: وسائل الاتصال الساخنة ووسائل الاتصال الباردة:**

ابتكر 'ماكلوهان' مصطلحات "ساخن" و"بارد" ليصف بناء وسيلة الاتصال، أو التجربة التي يتم نقلها. ويهتم 'ماكلوهان' بالقدرة على التخيل الذي يعتبر محور فكرته عن الساخن والبارد، فالوسيلة الساخنة هي الوسيلة التي لا تحافظ على استخدام الحواس، أو الوسيلة التي تقدم المعنى "مصطنعا" وجاهزا مما يقلل احتياج الفرد للخيال.

ويرى "مارشال ماكلوهان" أن الوسائل المطبوعة والراديو وسائل ساخنة، لأن كل منها يعتمد على استخدام حاسة واحدة فقط ولا تحتاج سوى لقدر بسيط من الخيال، في حين يرى التلفزيون من الوسائل الباردة التي تحتاج إلى ممارسة جهد كبير في التخيل من جانب المشاهدين.

بهذا المعنى فإن الوسيلة الساخنة درجة وضوحها مرتفعة وعلى درجة عالية من الفردية، وتحتوي على قدر كبير من المعلومات المطلوبة. أما الوسيلة الباردة فدرجة وضوحها منخفضة وتنقل معلومات قليلة، وتحتاج إلى جهد من جانب الجمهور لاستكمال التجربة.

1. **نظرية الفجوة المعرفية (الرقمية):**

تركز هذه النظرية بشكل رئيس على عامل التباين أو الاختلاف الموجود بين الأفراد والجماعات في مستوى المعرفة لديهم، وأثر وسائل الإعلام في حدوث هذا الاختلاف، إما بالزيادة أو النقص.

**أسس النظرية:** تقوم هذه النظرية على أساس:

* التدفق المتسارع للمعلومات عبر وسائل الإعلام يؤدي إلى جعل الفئات الأكثر استخداما وذوي المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع أكثر استيعابا وأسرع إدراكا للمعلومات من دونهم وذلك باعتبار العوامل الاقتصادية والاجتماعية كمحددات رئيسية لاكتساب المعرفة من قبل مختلف الجماهير حسب الدراسات والأبحاث التي أجريت في الو.م.أ وأمريكا اللاتينية وأوروبا والشرق الأوسط.
* وجود فجوة معرفية واضحة بين المجتمعات الأكثر تعلما، تتبعا لوسائل الإعلام وتحكما في تكنولوجياتها مقارنة بما دون ذلك، وبالتالي يعد التعليم كمؤشر أساسي وكاف لتوضيح الفجوة المعرفية بين المجتمعات حيث يربط بجميع المجالات منها الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية.
* اكتساب المعرفة وامتلاك المعلومة لا يزيد في توسيع الفجوة المعرفية فقط بل يعد مؤشرا ودافعا قويا في ظهور فجوات في السلوكات والتوجهات الخاصة بالأفراد في مختلف المجتمعات.

**ويمكن النظر في الفجوة المعرفية على مستويين:**

* المستوى الفردي: ويتضمن مدى اكتساب الأفراد للمعلومات والقدرة على التحكم في المضامين الإعلامية وتكنولوجيا الاتصال ويرجع ذلك إلى فروقات فردية متعددة منها: درجة الإدراك ومختلف الدوافع والاهتمامات الخاصة بكل فرد.
* المستوى الاجتماعي: الذي يشير إلى طبيعة الوسط الاجتماعي وبنيته المعرفية والتكنولوجيا والأساليب المعتمدة في النشر والتوزيع للمعلومة.

**الفجوة الرقمية كامتداد للفجوة المعرفية**:

يعد مصطلح الفجوة المعرفية مصطلحا نظريا تم استخدامه لوصف كيفية الهيمنة على المعرفة، بما في ذلك دور الاتصال في تلك الهيمنة. والفجوة الرقمية ما هي إلا تعبير تم استخدامه لوصف عدم التكافؤ في تكنولوجيا الإعلام، فيما بين المجتمعات والشعوب على المستويين المحلي والعالمي.

ويدور هذا التحول –كما يرى النقاد مثل نوريس-حول مجموعة من العلاقات بين الأفراد والمجموعات والأقاليم والشعوب التي تتصل ببعضها –بطريقة ما- بهذه الأشكال الجديدة للاتصال، التي تعتمد على التشفير الرقمي، بغرض توزيع ونشر واستهلاك المعلومات والمعرفة. وتعد هذه العلاقات مهمة في فهم وإبراز عدم المساواة بين هؤلاء الذين "يملكون" والذين "لا يملكون" في عالم يسوده الاقتصاد العالمي. تشير نوريس إلى أن هذا المصطلح صار اختصارا لأي وكل الفوارق في مجتمع الانترنت. وترى أيضا أن يعني ما هو أبعد من أن يكون قضية تكنولوجية، ولكنه ذو أبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية أيضا.

1. **نظرية انتشار المبتكرات:**

يذكر روجرز، صاحب النظرية، أن الانتشار هو انتقال الأفكار والتكنولوجيا والممارسات الجديدة من مصادر ابتكارها إلى الناس؛ والنجاح الذي يصادف بعضها في هذا الطريق والفشل الذي يعترض بعضها الآخر وظروف النجاح وأسباب الفشل فالانتشار مرتبط إذن بالتجديدات والابتكارات.

عناصر نموذج انتشار الأفكار/ التكنولوجيا المستحدثة: هناك أربعة عناصر أساسية ترتبط بموضوع انتشار وتبني الأفكار المستحدثة: الفكرة المستحدثة، قنوات الاتصال، النسق الاجتماعي**،** عنصر الزمن.

مراحل عملية التبني:

- مرحلة الشعور بالفكرة Awareness: وفي هذه المرحلة يتعرض الفرد للفكرة/التكنولوجيا ويحس بحاجة شديدة إلى معلومات كافية عنها.

- مرحلة الاهتمام Interest: وفي هذه المرحلة يصبح الفرد راغبا في التعرف على دقائق الفكرة الجديدة، ويسعى إلى تنمية معلوماته حولها.

- مرحلة التقييم Evaluation: وفي هذه المرحلة يطبق المرء الفكرة المستحدثة تطبيقا عقليا على موقفه الراهن وكذلك موقفه الذي يتوقعه مستقبلا، وبعدها يقرر إن كان عليه أن يجرب الفكرة أم لا، وتخضع هذه المرحلة إلى تردد كبير من المتبني لذلك فهو يحتاج إلى التشجيع القوي.

- مرحلة التجريب Trial: وفي هذه المرحلة يستخدم المرء الفكرة المستحدثة على نطاق ضيق، وذلك لكي يحدد فائدتها في نطاق ظروفه الخاصة تمهيدا لتطبيق الفكرة كليا.

- مرحلة التبني Adoption: وهنا يقرر المرء عادة الاستمرار في الاستخدام الكامل للفكرة/التكنولوجيا.